

تفريغ الكلمة الصوتية

الموالاة والمعاداة

للشيخ:
عطية اللّه الليبي

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

الموالاة والمعاداة

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

نريد أن نتحــدث الآن في هــذه الحلقة عن موضــوع آخر مهم، وله تعلق بمسألة الكفر والإيمان والردة، وما تحـدثنا عنه سـابقًا من التوحيد وضـده

وهو موضوع (الموالاة والمعاداة) وقد يعبرون عنه بالولاء والبراء، هو تعبير عن شيء واحد.

معلوم أن الله -سبحانه وتعالى- خلقنا من أجل عبادته وحـده لا شـريك له وأوجدنا في دار الدنيا، دار العبادة؛ لكي نعبده، ابتلانا وامتحننا بهذه العبادة وما فيها من الامتحانات، هل ننجح في عبادته وطاعته ونسير على صراطه المستقيم أو لا ننجح -أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الناجحين-.

ومن رحمته -سـبحانه وتعـالى- ولطفه أنه أرسل لنا الرسل وأنـزل لنا الكتب يُعرِّفوننا بالله -عز وجل- ويبينون لنا مراد الله كيف نعبده، أَمْـرُ الله لنا بعبادته وحـده لا شـريك لـه، وكيف نعبـده؟ تفاصـيل العبـادة الأوامر والنـواهي والتكليفـات، فبلَّغ الرسل -جـزاهم الله عنا خـير الجـزاء- بلغـوا الأمانة، وأدوا الرسالة -صلى الله عليهم وسلم أجمعين-.

وعندما أرسل الله -سـبحانه وتعـالى- الرسل افـترق النـاس واختلفـوا كما قال الله -تعالى-: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لما أنزل الله الرسل كما قـال الله -تعـالى- في الآية الأخرى هذه في سورة البقرة، والأخرى أيضًا قبلها في سورة البقـرة قال: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ والمفسـرون لهم قـولان أمـةً واحـدة على الكفر، أم أمـةً واحـدة على التوحيـد، والأصح هو المـروي والـذي ثبت عن ابن عبـاس في تفسـيرها أن أمـةً واحـدة على التوحيـد، كـان النـاس أمة واحدة من لدن آدم على التوحيد إلى أن وقع الكفر والشرك في قوم نوح كما حكـاه الله -سـبحانه وتعـالى- وأشـار إليه في القـرآن، وقع الشـرك وعبدوا الأصنام.

طريقة كيف عبـدوا الأصـنام معروفـه، صـوروا لصـالحيهم صـور وتماثيل بإيحـاء الشـيطان قـال لهم هـؤلاء الصـالحون يجب أن تعظمـوهم وأوحى إليهم الشيطان أن عَظِّموهم وصـوروا لهم الصـور واجعلـوا لهم التماثيـل؛ حتى تتذكروهم فتتذكروا نصائحهم ومواعظهم وتتـذكروا ما كـانوا عليه من السيرة ونحو ذلـك، فيزيـدكم هـذا صـلاحًا، الشـيطان دخل عليهم من هـذا الباب فصوروا تلك الصور وصنعوا تلك التماثيل.

فالجيل الأول كـان يعـرف وربما الثـاني والثـالث ثم لما طـال الأمد نُسي العلم كما قال ابن عباس، فعبدوهم من دون الله وهم الذين ذكرهم الله -سـبحانه وتعـالى- في سـورة نـوح في قوله: ﴿وَقـالُوا لا تَـذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَـذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُـواعًا وَلا يَغُـوثَ وَيَعُـوقَ وَنَسْـرًا﴾ خمسة: وَد -أو وِد في القراءة الأخرى- ولا تذرن وِدًا ولا سواع ويغوث ويعوق ونسر، خمسة كانوا من الصـالحين من قـوم نـوح، ثم صـوروا لهم قـومهم تماثيل وهكـذا، ثم عُبِدوا بعد ذلك، عبدوا لما نُسي العلم فوقع الشرك والكفر.

هـذا معـنى ﴿كَـانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً﴾ ثم وقع الشـرك في الأمـة، في البشرية، في الناس، ووقع الكفر.

فبعث الله النبـيين مبشـرين ومنـذرين، مبشـرين بـالثواب لم أطـاع الله وبـالخير، ومنـذرين سـخط الله وغضـبه وعذابه لمن كفر وعصى وأشـرك ﴿فبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْـزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِـالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ وَمَا اخْتَلَـفَ فِيـهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُـوهُ مِنْ بَعْـدِ مَا جَاءَتْهُمُ العلم.. ﴾ الآية.

فالمقصـود أن النـاس لما بعث الله الرسل مبشـرين ومنـذرين، النـاس افـترقوا كما قـال الله -تعـالى-: ﴿تِلْـكَ الرُّسُـلُ فَضَّـلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَـهُمْ دَرَجَـاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَـى ابْنَ مَـرْيَمَ الْبَيِّنَـاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أتباعهم بعد رسالاتهم ﴿وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَـلَ الَّذِينَ مِن بَعْـدِهِم مِّن بَعْـدِ مَا جَـاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُـوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَـرَ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُـوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَـلُ مَا يُرِيـدُ﴾ فأفـادت هـذه الآية الكريمة من سـورة البقرة أن الناس اختلفوا بين مؤمن وكافر بعد بعثة الرسـل، الـذين اتبعـوا الرسل وصدقوهم وآمنوا بهم واتبعوهم وأطاعوا الله -عز وجل- هـؤلاء هم المؤمنون الذين عبدوا الله وحده لا شريك له.

والذين صدوا عن دعوة الرسل وكفروا بها واستهزؤوا بها ورفضوها وأبَوْها ولم يتبعوها، واتبعوا أهواءهم، هـؤلاء هم الكفـار لم يعبـدوا الله -عز وجل- أو عبدوا الله وعبـدوا معه غـيره ولكنهم لم يعبـدوه؛ لأن العبـادة المعتـبرة عند الله -عز وجل- هي عبادته وحـده لا شـريك له وما سـواها لو شـخص عبَد الله وعبد غـيره كأنه لم يعبد اللـه، هو في الحقيقة لم يعبد اللـه؛ لأن

عبادته الجزء الذي صرفه لله غير معتبر شرعًا، غير معتبر عند الله، إنما المعتبر هو التوحيد، هو عبادة الله وحده لا شريك له.

فانقسم الناس إلى مؤمن وإلى كافر، ثم حصل الاقتتال بينهم قال الله -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فأفادت الآية أن اقتتال المؤمنين والكافرين مراد لله -عز وجل-، مقصود يريده الله، وهذا بينته آيات أخرى كثيرة، بينت الآيات أن الله فتن الخلق بعضهم ببعض، وسلط بعضهم على بعض اختبارًا لهم للطرفين لهذا ولهذا، اختبارًا وامتحانًا وفتنةً لهم ولمقاصد أخرى منها أن يختار الله -عز وجل- أولياءه وأصفياءه وأحبابه ويختار الشهداء ويختار الذين يختارونه ويفضلونه ويوالونه ويحبونه ويقدمون محابه على كل شيء، يختارهم الله -سبحانه وتعالى- ويرفع درجاتهم فهذا مقصود لله -سبحانه وتعالى-.

قال الله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ سورة الأنعام.

قال الله -تعالى- في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ فالله -سبحانه وتعالى- سلط الناس بعضهم على بعض وفتن بعضهم ببعض.

عنده مقصود الله -عز وجل- يريد هذا، مقصود وإرادة من الله، إرادة إلهية ربانية سامية، عظيمة شريفة، مطهرة مقدسة، الله -سبحانه وتعالى- يريد هذا الشيء، ومن أجله بعث الرسل ومن أجله كلفنا بهذه التكليفات؛ حتى الله -سبحانه وتعالى- يختار أولياءه وحتى تحصل المقاصد التي أشرنا إلى بعضها.

قال الله -تعالى- في سورة محمد ﷺ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ* ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ {كذلك} نحو هذا، ونحو ذلك البيان يبين الله صفات المؤمنين ومَثلهم، وصفات الكافرين ومَثلهم ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ثم قال:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أمر بضرب رقابهم وقتالهم وجهادهم.

{فضرب الرقاب} أمر بصيغة المصدر النائب عن فعله ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل والجراح ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ أسرًا ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ هذا محل الشاهد، والمقدمة الأولى قبلها مهمة، لكن محل الشاهد هذا هو ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ بعضكم أنتم الخلق، بعضكم المؤمن ببعضكم الكافر.

لو شاء الله لانتصر من الكافرين، الله يستطيع ويقدر وهو على كل شيء قدير -سبحانه وتعالى-، يستطيع أن يفنيهم ﴿كن فيكون﴾ ولكن إنما جعلهم موجودين وابتلانا بهم وسلطنا عليهم كما سلطهم هم علينا، ابتلاءً منه -سبحانه وتعالى- لنا نحن ولهم هم الكفار ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

فهذه الآيات فيها بيان لهذا المعنى الذي ذكرناه وتكلمنا عليه، ليت الإخوة يتدبرونه في كتب التفسير حتى يفهموه جيدًا.

نستطيع أن نسجل بعض النقاط حتى الإخوة يرتبون المعلومات ببعثة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- انقسم الخلق إلى فريقين: مؤمنين وكفار، وسلط الله بعضهم على بعض، نستطيع نقول: ابتلى الله بعضهم ببعض ابتلاءً من الله للفريقين ولحكم عديدة مُرادةٍ لله -تعالى- ولله الحجة البالغة والحكمة التامة.

مزيد ابتلاء، مزيد اختبار وامتحان، ومزيد فرصة يعطيهم الله -سبحانه وتعالى-؛ لعل بعضهم يرجع وينتبه قبل أن يدركه الموت وقبل أن يأتيه اليقين، هذا ابتلاء لهم، الآن هؤلاء الأمريكان مسلطون علينا، هذا ابتلاء لهم هم، الله -سبحانه وتعالى- يبتليهم، هذا معنى الابتلاء، يختبرهم، مزيد اختبار ومزيد امتحان ومزيد فتنة.

ولطف أيضًا منه أنه يعطيهم مزيد فرصة؛ لعلهم يتدبرون لعلهم يتفكرون لعلهم يرجعون.

ثم الله -سبحانه وتعالى-، هم أنفسهم يقيمـوا عليهم الحجـة، ويُعـذر إليهم كل الإعذار وتظهر آثار أسمائه الحسـنى -سـبحانه وتعـالى- وصـفاته العليا في أنه -سـبحانه وتعـالى- صـبّارٌ صـبور حليمٌ، واسم الحليم لله -سـبحانه وتعالى- فلم يعاجلهم بالعقوبة، ولكن أعطاهم الفرصة تلو الفرصة.

فهو ابتلاء للجميع فوقع الصـراع بين الحق والباطـل، بين الكفر والإيمـان، الصــراع: الحــرب والقتــال بين الحق والباطــل؛ لأن هــذين الفــريقين -المؤمنين والكفار- لا يمكن أن يصـطلحا أو لا يمكن أن يتحابا أو يتواليـا، لا يمكن.

لا بد أن يكونا عــدوين بعضــهم لبعض عــدو، لا يمكن أن يكــون الفــريقين أحبابًا، متحابين، متعايشين، متصالحين طول الوقت!

الصــلح المـؤقت، ما أردتُ أن أعـبر بالصــلح، الصــلح المـؤقت قد يكــون وجاءت به الشريعة، لكن الصلح المسـتديم الـدائم على طـول متصـالحين متعايشين متحابين متواليين متوادين لا يمكن! لا يمكن أصلًا بمقتضى هــذا الانقســام وبمقتضى هــذا الإيمــان وهــذا الكفــر، لا يمكن! والله يريد ذلك ويأمر به.

ولا بد أن يكونا عـدوين متصـارعين متحـاربين؛ هـذا مطلـوب لله -سـبحانه وتعـالى- مـراد لله -عز وجل- مقصـود لله -عز وجل-، يحبه الله أن نكـون نحن معــادين لــه، لكن لا يحب أنهم يعادوننا طبعًــا، بل هــذا مكــروه لله مبغـوض لله لكنه واقع بقـدر الله فهنا اختلف الكـون، الوجـود الكـوني أو الإرادة الكونية مع الإرادة الشـــرعية، لكن في حقنا نحن كوننا نكـــرههم ونعاديهم ونحاربهم، هذا يريده الله ويحبه الله يريده إرادة كونية، وأوجـده، ويريده إرادة شرعية التي مبناها على المحبة وأمر به.

ولأن فيه مصالح كبيرة، وهـذا هو شـرط صـلاح الأرض، المقصـود بـالأرض هي الأرض ومن عليها من البشر قال الله -تعالى- ﴿وَلَـوْلَا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بينت هذه الآية أن من الحكمة -حكمة الله عز وجل- ومما يريـده الله -سـبحانه وتعـالى- أن يحصل التـدافع الـذي به صـلاح الأرض؛ لأنه لـولا أن المؤمـنين يـدفع الله -عز وجل- بهم الكـافرين وكفــرهم وطغيــانهم وظلمهم؛ لفســدت الأرض ﴿وَلَـوْلَا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لولا حصول هذا الصراع ويندفع كثير من الشر بالخير، وبالجهاد وبالقتال، وبهذه الحرب وبهذا الصراع والتدافع لفسدت الأرض.

كيف تفسد الأرض؟ بسيطرة الكفار، وأعظم فساد هو سيطرة الكفار على الأرض إذا سيطر الكافر على الأرض وتحكم فيها -نعوذ بالله- خلاص وقع الفساد العظيم، الكفر والشرك والفسق والفجور ومعاصي الله -سبحانه وتعالى-، وسيطرة الشياطين، ودعوة الشيطان، ومحاب الشيطان وأهواء النفوس، سيطرة الكفار على الأرض هو أعظم فساد ما في فساد أكبر من هذا.

يتبين لنا من هذا أن ولاء المؤمنين لله -عز وجل- ودينه ولرسله، والمؤمنين بعضهم لبعض، أن هذا الولاء مطلوب لله، مقصود لله، مراد لله، الله يأمرنا به وأنه لا بد منه بمقتضى الإيمان والكفر، بمقتضى أننا عبيد لله.

فالعبادة لله وحده لا شريك له، التوحيد، الإيمان، الإسلام لله -عز وجل- يقتضي ويستلزم بذاته استلزامًا واقتضاء قريبًا جدًا بينًا -يُسمُّوا فيه اللزوم البيِّن هذا حتى في المنطق، اللزوم القريب أو اللزوم البين- يقتضي أن يوالي المؤمنون الله -عز وجل- ورسوله ودينه والمؤمنين، وأن يبرؤوا ويعادوا الكفر والكفار وكل ما يتعلق بهم، يعني وما ينتج عن الكفر من المعاصي والفجور والعصيان والتمرد على الله -سبحانه وتعالى- والشيطان وحزبه، ومن قاربهم وكان منهم، فهما فريقان.

يعني العبودية لله -عز وجل-، الإسلام لله -عز وجل-، التوحيد، الإيمان يقتضي هذا، يقتضيه ويستلزمه استلزامًا بيّنًا قريبًا أنه لا بد أن يكون المؤمنون أولياء لله -عز وجل- ولرسوله ودينه وللمؤمنين، وأن يكونوا بُرآؤ، يبرؤون يتباعدون ويتجافون، ويعادون ويبغضون الكفّار والكفر والشيطان وحزبه وكل ما تعلق به.

نستطيع نلخصها نقول: الإسلام والإيمان والتوحيد وهو العبودية لله وحده لا شريك له هذا كله يقتضي ويستلزم من المؤمنين أن يوالوا الله ورسله ودينه والمؤمنين وأولياءه المؤمنين، وأن يعادوا وأن يبرؤوا ويعادوا أعداء الله اللي هم الكفار وكفرهم.

فمن هنا نستطيع أن نقول أن الولاء والبراء والموالاة والمعـاداة هـذه هي مقتضى عبادة الله -سبحانه وتعالى-، مقتضى التوحيد، ومقتضى الإســلام، ومقتضى الإيمـان، يقتضـيه لازمٌ له مية في الميـة، لا يمكن أن ينفك عنـه، فغـير ممكن أن يكـون الإنســان مسـلم مـؤمن موحد يعبد الله وحـده لا شــريك له ويحب الله ويطيعه وفي نفس الــوقت يحب الشــيطان ويحب الكفر والكفـار أو يــواليهم ويقــاربهم ويعيش معهم حيــاة مريحة مطمئنة ليس عنـده مشـكلة معهم!! لا يمكن هـذا، هـذا غـير مُتصـوَّر؛ لأن أصـلًا العبودية مبناها على المحبـــة، قـــال العلمـــاء العبودية مبناها على المحبة والذل، فلا يكون العابد عابدًا لله -عز وجل- إلا بمجموع المحبة الكاملة لله -سبحانه وتعالى- وأن يذل له، الذلة هي التي مقتضاها الخضوع والخشـوع والانقياد لأمر الله -سبحانه وتعالى- والطاعة له، العبودية أصلًا مبناها على المحبة والـذل، فلا يكـون العبد عبـدًا إلا بهـذا، ولا يمكن أن يحب الله وأن يحب أعداءه هذا غير ممكن.

حـتى في المحــاب العادية بين النــاس، لا يمكن أن تحب شــخص وتحب عدوه! هذا لا يمكن، غير مقبول أصلًا، معناه أن محبة عدو الذي هو عــدوه يعني مناقض له مضاد له من كل وجه.

ولا شك أن عبوديتنا لله -ســبحانه وتعــالى- تقتضي منا أن نحب الله -عز وجل- ونحب رسله ودينه وأولياءه ومن يكون في صفه.

وأن نكـره ونبغض، ونعـادي كل من يعاديـه، لو لم يقل لنا الله هـذا، لو لم يوجبه علينــا، لكــان هــذا واجب بمقتضى الإســلام والإيمــان والتوحيد والعبودية، فكيف وقد جاءت الشريعة بالأمر بموالاة الله ورسوله وأوليائه، والنهي عن مـوالاة ومقاربة الكفـار والكـون معهم كما سـنذكره -إن شـاء الله-.

ومع هـذا زادنا الله -سـبحانه وتعـالى- بيانًا وتوضـيحًا، رحمـةً منه ولطفًا -سبحانه وتعالى- والله رفيق يحب الرفق والله ودود كريم ﴿يُرِيــدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْــرَ وَلَا يُرِيــدُ بِكُمُ الْعُسْــرَ﴾ وتخفيف من الله وتسـهيل علينا زادنا بيانًا وتوضيحًا، وبيّن لنا في آياته القرآنية وبيّن لنا رسوله ﷺ في أحاديث النبوية الشريفة أنه يجب علينا أن نوالي المؤمنين، نوالي الله -عز وجل- ورسوله

ودينه ونكـــون مع المؤمـــنين أوليـــاء نحبهم، ونكـــون معهم وفي صـــفهم، ونقاربهم ونعاشرهم ونكون مع المؤمنين.

نكــون مع المؤمــنين بعضــنا أوليــاء بعض، وأن نبغض الكــافرين وأن نتــبرأ منهم، وأن نجتنبهم وأن نباعدهم ولا نســاكنهم ولا نجتمع معهم في ســكن، وفي بلد، (ولا تراءى ناراهما) قــال النــبي ، ابعــدوا عنهم حــتى نــارهم لا تراها من بعيد ولا يرون نــارك، باعــدهم وتجــافى عنهم واجتنبهم ولا تكــون معهم في أرض ولا تقيم بينهم ولا تخالطهم ولا ولا ولا...

كل هذا مباعدة للكفار، ومجانبة للكفــار، وبــراءة من الكفــار وتــبرؤًا منهم، ومعاداة لهم وبغض لهم، وبغّضنا الله فيهم وقال أبغضــوهم كيف تحبــونهم هؤلاء؟! تبغضونهم لأنهم أعداء الله كفروا بالله وكفروا برسل الله وعصــوا الله وتمردوا على طاعة الله -عز وجل- هؤلاء أعداؤكم.

بين لنا هــذا في القــرآن وفي الســنة بيانًا عظيمًــا، أنه لا بد لنا أن نــوالي المؤمنين، ونوالي بعضنا بعض، ولا بد لنا أن نتبرأ من الكفار، وأن نعــاديهم وأن نبغضهم وأن نقاتلهم ونجاهدهم ونحاربهم في ذات الله -عز وجل-.

هذا في القــرآن مُــبين بيــان عظيم جــدًا جــدًا من أحسن ما يكــون البيــان، وممكن نتلوا -إن شاء الله- الآن بعض الآيات في هــذا لكن المقــام يطــول بذكرها وشرحها وتفسيرها، فنكتفي ربما ببعض الأمثلة.

الله -عز وجل- أيضًــا بغّضــنا فيهم وبين لنا أنه يجب علينا أن نبغضــهم في آيــات كثــيرة جــدًا؛ لأنهم كفــروا بالله وتمــردوا على طاعة الله -ســبحانه وتعالى- فهذا مبين في القرآن أحسن تبيين.

آيــــات كثــــيرة فيها التبغيض للكفــــار هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ هذي كلها تبغيض في الكفار أَلَا تُقَـاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُـوا أَيْمَـانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُـولِ وَهُم بَـدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ أَتَخْشَـوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَـقُّ أَن تَخْشَوْهُ... وغيرها.

ففي القــرآن آيــات كثــيرة تــأمر بمــوالاة المؤمــنين وينهانا الله -ســبحانه وتعالى- فيها عن موالاة الكافرين واتخــاذهم أوليــاء قــال الله -تعــالى- في

سورة الممتحنة التي هي معظمها وجزء كبير منها في هذا الباب قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ* إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾ فكيف تحبونهم! هذا المعنى تحريض على بغضهم ومعاداتهم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يجدوكم في أي مكان ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ هم يحبون كفركم ويودون أنكم تكفروا بالله.

ثم ضرب لنا مثلًا بإبراهيم قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ...﴾ صرح بذكر العداوة والبغضاء ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...﴾ إلا أن تؤمنوا بالله وحده فقط، فتزول العداوة والبغضاء، أما قبل ذلك لا ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...﴾

فهذه واضحة جدًا، تمام الوضوح فالقرآن ملآن بهذا وفي سورة آل عمران وفي سورة المائدة وفي سورة الأنعام والبقرة، وفي كثير من سور القرآن هذا موضح جدًا، ومبين أحسن بيان.

إذن، نلخص هذا الكلام حتى الإخوة يكتبوه:

ومع ذلك -يعني مع أن العبودية والإسلام والإيمان والتوحيد تقتضي هذا كما ذكرنا، تقتضي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين وبغضهم- ومع ذلك فقد بين الله -عز وجل- لنا في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ بأوضح بيان وأصرحه، وجوب موالاة والنهي عن موالاة الكافرين

هذه ذكرناها ولكن أحببت أن ألخصه لكم في عبارة.

ونحن نذكر الآن -إن شاء الله- بعض الآيات التي جاءت في القرآن، أهم الآيات التي فيها التشديد في موالاة الكافرين، تشديد في النهي، والتشديد في حكم من يوالي الكافرين، نذكر أهم الآيات.

نحن قبلها ذكرنا آيـات سـورة الممتحنـة، ذكرناها ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ وهذي مثل هذه الآيات كثير في القرآن.

الآن سـأذكر أهم ثلاث آيـات في سـور مختلفـة، واحـدة في سـورة آل عمران، اثنتين في سـورة المائـدة، هـذه أهم ثلاث آيـات في حكم مـوالاة الكافرين.

نحن قلنا القرآن نهى عن موالاة الكافرين وأمر بموالاة المؤمـنين، وشـدد في موالاة الكافرين أنها إثم ومعصية، بل صرح في بعض الآيات بأنها أشد من ذلك كما سـنراه في هـذه الآيـات، فقـال الله -تعـالى- في سـورة آل عمران ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَـلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

والآية الأخرى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

هـذه الآية في سـورة آل عمـران الله -سـبحانه وتعـالى- يقـول: ﴿لَّا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هـذا صـورته صـورة الخـبر، ولكن المراد به الإنشـاء، المـراد به الأمـر، وهو نهي ﴿لَّا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ﴾ "لا" نافية، لكن هو نهيٌ مباشرةً، فـ"لا" هنا ناهية.

﴿لَّا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ﴾ أيها المؤمنـون، لا تتخـذوا، هـذا معناها ﴿لَّا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ﴾ هـذا نهي للمؤمـنين أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، هذه تكميل وتوضـيح، إنما تتخذ المؤمنين أولياء فقط، ولا تتخذوا الكافرين أولياء.

بعد ذلك قـال: ﴿وَمَن يَفْعَـلْ ذَٰلِـكَ﴾ والـذي يفعل ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَـيْءٍ ﴾ هـذا التعبـير ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَـيْءٍ﴾ في اللغة العربية يستعمل للبراءة من الشيء، أو الـبراءة من الشـخص، فيقـول -مثلًا-: من فعل كذا فليس مني، فلست منه، فليس منا، فليس مني في شيء.

وجاء وورد مثله ونظائره في كلام النبي ﷺ في مواضع، كقوله: (من غشنا فليس منا) أنا بريء من كذا.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني فإن الله بريء منه، ليس من الله في شيء ولا يقرب الله، ولا يكون منتميًا إلى الله هذا معناه، ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ استثناء بعد ذلك قال: ﴿إِلَّا﴾ حال المستثناة إلا حال التقية، إلا أن تكونوا مضطهدين مغلوبين منهم فتتقوا منهم تقاة فتظهروا لهم -في الظاهر- أنكم لا تعادونهم، إرادة أن تتقوهم هذا حالة الإكراه وحالة التقية مستثناة فقط، أما غيره لا، هذا هو الحكم الأصلي، النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، ثم هنا الآية فيها صراحة أكثر من غيرها في كثير من الآيات أن من يفعل ذلك ويتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فقد برِئ الله منه ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾.

ما معنى هذه البراءة هل هي الكفر؟ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ معناها أنه خرج من دين الله أصلًا، معناها كفر أو معناها الفسوق والعصيان، محتمل الله أعلم بمراده، ولكنها هذي من أقوى الآيات المحتملة على كفر الموالي للكافرين، وسنزيد هذا المعنى إيضاحًا -إن شاء الله-، هذي الآية الأولى في سورة آل عمران التي بين الله -سبحانه وتعالى- فيها أنه بريء ممن يوالي الكافرين.

الآية الثانية في سورة المائدة قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ في هذه الآية يخاطب الله الذين آمنوا المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يناديهم ويخاطبهم اسمعوا هذا الكلام ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ نهي، "لا" هذه ناهية ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ أنهاكم أن تتخذوهم أولياء، لا تفعلوا، هذي جملة تشبه الجملة المعترضة كأنه اعتراض، والجملة المعترضة يراد بها بيان معنى قبل تمام الغرض المساق له الكلام.

فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ والحال، الشأن أنهم هم اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، هم يوالون بعضهم فأنتم لا تتخذوهم أولياء ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ ومن يفعل هذا الذي نهيناه عنه ويتخذهم أولياء ويتولهم منكم أنتم أيها المؤمنون المخاطبون ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ من يفعل ذلك منكم فقال جزاؤه "مَن" هذه شرطية وهذا هو جواب الشرط

وجزاؤه ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ هذه أصرح آية في كفر الذي يـوالي الكفـار -اليهـود والنصارى هنا- وسائر الكفار مثلهم.

أصـرح آيـة، صـرح الله -سـبحانه وتعـالى- بها بـأن الـذي يـوالي اليهـود والنصارى أنه منهم، يعني مثلهم ومنهم ومحسوب منهم وكـافر مثلهم، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا تذليل فيه وعيد وفيه تهديد، يعني أنكم إذْ ظلمتم وكنتم ظالمين فاعلموا أن الله لا يهديكم فـإن الله لا يهدي القوم الظالمين، فهذي فيها تهديد شـديد ووعيد بعد هـذا النهي وبعد بيان الحكم.

﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ صـرح بعض العلمـاء بأنه منهم يعـني: كـافر مثلهم، وعلمـاء آخرين قالوا: فإنه منهم في الإثم.

لكن الأصرح والأوضح والذي يُفهم والمتبادر والـذي هو ألْيَق بمعـنى الكلام العـربي أنه منهم يعـني في الكفـر، أنه منهم كـافر مثلهم والله أعلم، هـذا أرجح.

الآية الثالثة أيضًا في سورة المائدة والآية الأخرى بعدها في سورة المائدة كذلك بعـدها بقليل في الـترتيب وهي قوله -تعـالى-: ﴿وَلَـوْ كَـانُوا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ قبلها، قبل هذه الآية نتلوا الآيات التي قبلها طويلة، كلها في الموالاة قـال الله -تعـالى-: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِن بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَـانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَـرْيَمَ ذَٰلِـكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا...﴾ يعني اليهـود ﴿كَـانُوا لَا يَتَنَـاهَوْنَ عَن مُّنكَـرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لا ينهى بعضـهم بعض عن المنكر ﴿كَـانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُـونَ* تَـرَىٰ كَثِـيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اليهود، الله -سبحانه وتعالى- يذمهم وينعى عليهم أنهم كانوا يوالون الكافرين ولا يتبرؤون منهم.

﴿تَـرَىٰ كَثِـيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَبِئْسَ مَا قَـدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُـهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ* وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

هو جزء من آية وهذا موضعها في سياقها في آيات هذه السورة الكريمـة، فيقول الله -سبحانه وتعالى- في هـذه الآية عن الـذين يتخـذون الكـافرين أولياء من اليهود الكلام كله في سياق الآيات، الكلام كله عن اليهود.

الله -سـبحانه وتعـالى- يتحـدث ويتكلم عن اليهـود وينعى عليهم ويـذمهم بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وأن كثير منهم كانوا يتولون الـذين كفروا، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَـذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنـزل إليه ما اتخـذوا الكـافرين أولياء، معناها أنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله والنبي وما أنـزل إليه لأن "لو" هذه حرف شرطٍ، في النحو يقولون "لو" حـرف شـرط يفيد امتنـاع لأجل امتنـاع، فـامتنع إيمـانهم بالله والنـبي وما أنـزل إليـه، هنا لا بد من التأويل طبعًا؛ لأن هـذا منفي فيكـون التقـدير ولو كـانوا يؤمنـون بالله والنـبي وما أنزل إليه، فامتنع إيمانهم لامتناع عدم اتخاذهم أوليـاء، لأن هـذا منفي، فلا بد أن يُؤوَّل بالعدم ويُؤوَّل بالنفي.

فامتنع إيمانهم بالله والنبي وما أنزل إليه لامتناع ولعـدم هـذا الشـيء وهو عدم اتخاذهم الكفار أولياء.

لا بد من تأويل فيهـا؛ لأن هـذا في موضع النفي وإلا "لو" هي هكـذا في أصل العربية "لو" حرف امتناع لامتناع، تقول: لو جئتـني أكرمتـك، فـامتنع إكـرامي لامتنـاع مجيئـك، لكن لوجـود حـرف النفي هـذا فلا بد أن تُـؤوَّل جملته.

المهم المقصـود أن المعـنى أنهم لو كـانوا يؤمنـون بالله والنـبي ما كـانوا يتخذون الكـافرين أوليـاء، فـدل على أنهم لما اتخـذوا الكـافرين أوليـاء ما كانوا مؤمنين.

"لو" هذي يسمونها حرف امتناع لامتناع، يمتنع جوابها لامتناع شرطها.

فهنا أحد الجزئين منفي ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ فلا بد من تقديره بالنفي أو العـدم فيكـون التقـدير: امتنع إيمـانهم بالله والنـبي وما أنـزل إليه لامتنـاع عـدم اتخاذهم أنبياء.

امتناع العدم هو نفي النفي، فهو إثبات، وهو اتخاذهم الكفار أولياء.

فهذه أصرح وأوضح ثلاث آيات في القرآن في حكم الذي يوالي الكفار أن الله بريء منه وأنه لا يؤمن وأنه منهم.

ولهـذا العلمـاء اسـتنبطوا من هـذه الآيـات ومن آيـات القـرآن عمومًا أن المـوالاة درجـات، أعلاها الكفر وتحتها درجـات في الفسـوق والعصـيان، درجات لا يعلمها إلا الله -عز وجل-.

لأن الله -سـبحانه وتعـالى- صـرح في موضع أنه بـريء من الـذي يـوالي الكفار، وصرح في موضع أن الذي يوالي الكفار أنه منهم.

وصرح في موضع أنه لا يؤمن، فأخذوا من هذا أن موالاة الكفار فيها درجة تكون بهذه المنزلة تكون كفـرًا، وهـذه الدرجة لا ينبغي أن تكـون إلا أعلى الدرجات ولهذا قـالوا أن أعلى درجـات المـوالاة للكفـار كفر وهي الدرجة العالية الواضحة جدًا وهي التي سنتكلم عنها الآن، أما الدرجات التي تحت تلك الدرجة فتكون معصية، ويختلف بعضها معصية كبيرة وبعضـها معصـية صغيرة.

ما هي أعلى مرتبة ودرجة يمكن أن نتصـورها من مـراتب مـوالاة الكفـار، من يقول لنا الجواب؟

قالوا العلماء: أعلى درجة من درجات موالاة الكفار (أن المسلم يــواليهم) هي أن يقاتل معهم المسلمين، وسموا هذه الدرجة "المظاهرة" مظـاهرة الكفار على المسلمين في الحرب وفي القتال وفي الصراع.

يعني عندما تكون هناك حـرب وقتـال وصـراع وعـراك يكـون هو في صف الكفار يعاونهم ويساعدهم ويقاتل معهم المسلمين، هـذه أعلى الـدرجات، هذه الدرجة كفر.

الذي يكون مع الكفار في صـفهم وفي جـانبهم وفي حـدهم وفي نـاحيتهم ومعهم على المسـلمين، يحـارب المسـلمين معهم ويعـاونهم ويمـدهم ويظاهرهم هـذه أعلى الـدرجات وأوضـحها، أوضح درجـات المـوالاة هـذي التي ينطبق عليها أن الله بـريء منهم، وأنه منهم وأنه لا يـؤمن، هـذا غـير مؤمن أبدًا، هذا ناقض من نواقض الإسلام -والعياذ بالله، نسـأل الله العفو والعافية-.

ودون ذلك مراتب بعضها قد يكون يحتمل الكفر لكن هـذا الـذي نجـزم أنه كفر.

والله أعلم، والحمد لله رب العـالمين أولًا وآخـرًا وظـاهرًا وباطنًـا، وصـلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.